**الميتاسردي في الرواية العربية**

ليس من اليسير أن تكتب في رواية حصدت جائزة كبيرة بينَ عدد كبير من الروايات العربية

لا سيما حين تكون الجائزة مهمة مثل جائزة البوكر العربية . حصل هذا معي وأنا أكتب عن رواية فرانكشتاين في بغداد للروائي أحمد سعداوي .

ولعلَ الصعوبة لا تتأتى من الخضوع لفضاء الجائزة والاحتكام إلى سياقاتها، لأن قراءتنا النقدية لا تنهض على أساس السياق المعياري ،, وإنما هي تنبع من القدرة على تناسي هذا الفضاء والتعامل الحيادي معَ هذهِ الرواية ، وقراءتها بتلقٍ حر يوظف المنهجية النقدية الثقافية ويقف عند المستويات أو الأنساق الثقافية المتحققة في الرواية.

تقوم الرواية في معماريتها البنائية علـــى تسعة عشــر فصلاً، يبدأ الفصل الأول بعنوان هـو

( المجنونة ) وهو فصل يدور حول ( شخصية ) في الرواية وآخر فصولها بعنوان ( الانفجار )

وهو فصل ( حدثي ) ينقل لنا حادثة ( نمطية ) يكثر الوقوف عندها في الرواية . بل إن متنها الحكائي يقوم على ثيمة ( الانفجار ) أو الدمار وما تشظى منها من شخصيات، وموجودات مكانية. إن النسق ( الظاهر ) في الرواية هو ( النسق التسجيلي ) إذ إن الرواية تفترض ظاهرياً تقديم ( رؤية تسجيلية ) تنقل فوتغرافياً ما يجري في بغداد تحديداً من أحداث في المرحلة الصادمة من تأريخ العراق الحديث بعد 2003 ، وسقوط أركان الدولة العراقية وانهيار البنى التحتية والفوقية ، والمادية ، والنفسية ، وتقديم المعادلات الموضوعية الحدثية عن هذا كله عبر اختيار الحوادث الواقعية من انفجارات موثقة حدثت في بغداد ، وجرائم معروفة شاعت أخبارها في الإعلام الرسمي، أو بينَ الناس، وشخصيات هشة مهزوزة صنعتها الأحداث الاستثنائية ، مما جعل الرواية تقترب في هذا الجانب من الرواية التسجيلية المباشرة التي تتخطى التوظيف الواقعي الذي يقترن فيه التخييلي بالتسجيلي .

إما (النسق) المضمر في الرواية فيقوم على بنائية ( الميتاسرد ) التي تتستر بقناعين الأول القناع التمهيدي الذي شكّل افتتاحية الرواية وقام على جزئين الأول :.( الخبر التلفزيوني ) عن إلقاء القبض على ( هادي العتاك ) ولم يتصدر هذا الجزء أي عنوان . والجزء الثاني كان تحت عنوان ( تقرير نهائي ) وبعنوان جانبي هو ( سري للغاية ) ومختوم بتوقيع ( رئيس اللجنة ) ولم تكن هذهِ ( الموجهات النصية ) هي ( موجهات خارجية ) وإنما هي تشكيلات ( الميتاسرد ) الداخلة في متن الرواية أو هي (الرواية داخل الرواية ) التي تتحدث عن متنها ومعناها المتشكل منه فنيا ، ولعل أكثر أجزاء الرواية إفصاحاً عن الميتاسردي ( هو الفصل الثامن عشر) الذي أعده خارج مبنى الرواية وعنوانه ( المؤلف ) فهو يمثل انفصال الميتاسردي عن السردي والإفضاء المباشر عن الوثائق السردية الداخلة في بنائية الرواية . وكذلك فصل ( المجرم ) الذي يعد أيضاً خارج المبنى السردي بوصفه ( وثيقة ميتاسردية ) تقابل افتتاحية الرواية ، وهو يتناول حادثة إلقاء القبض على المجرم الخطير في الحادي والعشرين من شباط 2006 .

أما المقولات المستعارة فهي ثلاث واحدة من ( ميري شيلي ) عن فيلم فرانكشتاين وهي مقولة ( فنية ) والثانية ( دينية ) عن قصة العظيم في الشهداء لماركوكيس المظفر ، والثالثة تخييلية عن ( الشسمة ) الكائن التخييلي الذي أنتجته الرواية .

والمقولات الثلاث تعبرعن ثيمة واحدة هي تشظي روح الشر في أجساد لا نهائية يصنعها الظلم البشري ،،والعنف والحروب ، ويموضع الراوي هذهِ المقولات في آخر الرواية وليس في مفتتحها وتعد بمثابة هامش تكويني ( ميتاسردي ) .